﴿۞أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مَّا هُم مِّنكُمۡ وَلَا مِنۡهُمۡ وَيَحۡلِفُونَ عَلَى ٱلۡكَذِبِ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٤﴾

[المجادلة: 14]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قبلَها:

اطِّلاعُهُ تعالى على نِفاقِ المُنافقينَ مِنْ دلائلِ علمِهِ المُحيط

لمّا أخبرَ ﷻ في قولِهِ: ﴿وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ بإحاطةِ علمِهِ رَدْعًا لمَنْ يَغترُّ بطولِ حِلْمِهِ دلَّ على ذلكَ باطِّلاعِهِ على نفاقِ المنافقينَ الَّذي هو أبطنُ الأشياءِ وأخفاها[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿تَوَلَّوۡاْ﴾: (ولي) أصلٌ يدلُّ على قُرْبٍ، ومِنْ ذلكَ يقالُ: تباعدَ بعدَ ولْيٍ؛ أي: قُرْبٍ، وجلسَ ممّا يَليني؛ أي: يُقارِبُني[2]، والمَوْلَى: المُعتِقُ، والمُعتَقُ، والصّاحبُ، والحليفُ، وابنُ العمِّ، والنّاصرُ، والجارُ، وكلُّ مَنْ وليَ أمرَ آخرَ فهو وليُّهُ[3]. والمرادُ بالتَّولّي هنا: الموالاةُ، وهي المودَّةُ والمحبَّةُ[4].

2) ﴿غَضِبَ﴾: (غضب) أصلٌ يدلُّ على شدَّةٍ وقوَّةٍ[5]، والغضبُ - أي: في الآدميِّ - هو ثَوَرانُ دمِ القلبِ إرادةَ الانتقامِ[6]. والمرادُ بغضبِ اللّهِ هنا: سَخَطُهُ والطَّردُ مِنْ رحمتِهِ[7].

3) ﴿وَيَحۡلِفُونَ﴾: (حلف) أصلٌ يدلُّ على المُلازمةِ[8]، ومِنْ ذلكَ:

(1) البقاعي، نظم الدّرر: 19/ 385.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (ولي).
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة، والراغب، المفردات: (ولي).
(4) المراغي، تفسير المراغي: 28/ 21.
(5) ابن فارس، مقاييس اللغة: (غضب).
(6) الرّاغب، المفردات: (غضب).
(7) المراغي، تفسير المراغي: 28/ 21.
(8) ابن فارس، مقاييس اللغة: (حلف).

الحِلْفُ، وهو العهدُ بينَ القوم، والمحالفةُ: المعاهدةُ، وجُعِلَتْ للملازمةِ الَّتي تكونُ بمُعاهَدةٍ[1]، والحَلِفُ: القَسَمُ، وذلكَ أنَّ الإنسانَ يَلزَمُهُ الثَّباتُ عليهِ[2]. وهو المرادُ هنا.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

مِـنْ صـفـاتِ المُنافقينَ الكذبُ ومـوالاةُ أعـداءِ المؤمنين

يقولُ تعالى ذكرُهُ لنبيِّهِ محمَّدٍ ﷺ، أو لكلِّ مَنْ تتأتَّى منهُ الرُّؤيةُ: ألم تنظرْ إلى المنافقينَ الَّذينَ اتَّخذوا اليهودَ أولياءَ، مع أنَّ اللهَ تعالى غَضِبَ عليهم، وما هؤلاءِ المُتولّونَ مِنَ المؤمنينَ الخُلَّصِ ولا مِنَ الكافرينَ الخُلَّصِ، أو: وما اليهودُ مِنَ المؤمنينَ ولا مِنَ المنافقينَ، ففي اتِّخاذِ المنافقينَ لهم أولياءَ شناعةٌ وغرابةٌ. ويَحلِفُ هؤلاءِ المنافقونَ على ادِّعاءِ الإيمانِ وإظهارِ النُّصحِ للمؤمنينَ، وعدمِ إرادةِ الشَّرِّ لهم، وهم يعلمونَ أنَّهم كاذبونَ في هذا الحَلِفِ[3].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

عِلَّةُ فَصْلِ ﴿أَلَمْ تَرَ﴾:

ذِكْـرُ حـالـةٍ جـديـدةٍ مِـنْ أحوالِ المنافقين

فُصِلَ قولُهُ تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم﴾ عمّا قبلَهُ؛ لأنَّهُ كلامٌ مُستأنَفٌ استئنافًا ابتدائيًّا؛ لإفادةِ غرضٍ جديدٍ، وهو ذكرُ حالةٍ أُخرى مِنْ أحوالِ أهلِ النِّفاقِ، وهي موالاتُهم لليهودِ[4].

دلالةُ الاستفهامِ في ﴿أَلَمْ تَرَ﴾:

حـالُ المُنـافـقينَ المـوالـينَ لليهودِ عجيب

الاستفهامُ في قولِ الحقِّ ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم﴾ لتعجيبِ المخاطَبِ مِنْ حالِ المنافقينَ الَّذينَ يوالونَ اليهودَ،

(1) الرّاغب، المفردات: (حلف).
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (حلف).
(3) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 23/ 252 - 253، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 8/ 51 - 52.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتنوير: 28/ 47 - 48، ودرويش، إعراب القرآن وبيانه: 10/ 25.

ويُناصِحونَهم، ويَنقُلونَ إليهم أسرارَ المؤمنينَ[1]! ووجهُ التَّعجيبِ مِنْ حالِهم: أنَّهم تولَّوا قومًا مِنْ غيرِ جنسِهم، وليسَ في دينِهم ما حَمَلَهم على تَوَلِّيهم إلّا اشتراكُ الفريقينِ في عداوةِ الإسلامِ والمسلمينَ[2].

وفي الاستفهامِ أيضًا توبيخٌ للمُنافقينَ حينَ يَسمَعونَهُ.

سرُّ تكرارِ ﴿أَلَمْ تَرَ﴾:

مـوالاةُ المُنافِقينَ لليهودِ جديرةٌ بـالاهـتـمـامِ والتَّنبيه

كُرِّرَ ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ في قولِهِ ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم﴾، مع تقدُّمِهِ في قولِهِ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُواْ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ﴾ [المجادلة: 8]، وقولِهِ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [المجادلة: 7]؛ للتَّأكيدِ على استقلالِ ما بعدَ الاستفهامِ وأهمّيَّتِهِ، والتَّنبيهِ على أنَّهُ حَرِيٌّ بأنْ يُعلَمَ علمًا مستقلًّا، وأنَّهُ ليسَ تابعًا لغيرِهِ.

تعيينُ المُخاطَبِ بـ﴿أَلَمْ تَرَ﴾:

النَّبـيُّ ﷺ هو المُعجَّبُ مِنْ حالِ المنافقين

الخطابُ في قولِهِ ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم﴾ للرَّسولِ ﷺ؛ لأنَّهُ لا يَفهَمُ ذلكَ حقَّ فهمِهِ غيرُهُ.

افـتِـضـاحُ أمـرِ المُنافِقينَ الموالينَ لليهود

ويُحتمَلُ أنْ يكونَ الخطابُ لكلِّ مَنْ يَتأتَّى منهُ الرُّؤيةُ المذكورةُ، وفي ذلك تنبيهٌ على افتضاحِ أمرِ المُنافقينَ الَّذينَ يوالونَ اليهودَ، بحيثُ يَصِحُّ أنْ يُعجَّبَ مِنْ حالِهم كلُّ أحدٍ.

بلاغةُ تلوينِ الخِطابِ في الآيةِ:

صَـرْفُ الخِطابِ مِنَ المؤمنينَ إلى النَّبيِّ ﷺ

في قولِهِ جلَّ مِنْ قائلٍ: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تلوينٌ للخطابِ، بصرفِهِ عن المؤمنينَ إلى الرَّسولِ ﷺ، وكذا في قولِهِ: ﴿مِّنكُمْ﴾، فإنْ كانَ غُلِّبَ فيهِ خطابُ الرَّسولِ فلا التفاتَ فيهِ، وكذا إنْ لم يُغلَّبْ؛ لأنَّهُ ليسَ فيهِ مخالفةٌ لمقتضَى الظّاهرِ؛ لسبقِ خطابِهم قبلَهُ[3].

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 8/ 221، والمراغي، تفسير المراغي: 28/ 21.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتنوير: 28/ 48.
(3) الخفاجي، عناية القاضي: 8/ 172، والآلوسي، روح المعاني: 14/ 226.

بلاغةُ التَّعبيرِ بالرُّؤيةِ:

حالُ المُنافقينَ مَرْئيَّةٌ مُشاهَدة

الرُّؤيةُ في قولِه تعالى ذكرُهُ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم﴾ بصريَّةٌ، بقرينةِ تَعْدِيَتِها بالحرفِ ﴿إِلَى﴾، والمعنى: ألم تَنظُرْ[1]، وفي ذلكَ إيذانٌ بأنَّ حالَهم مَرْئيَّةٌ مُشاهَدةٌ، لا خفاءَ فيها.

دلالةُ ﴿إِلَى﴾ في ﴿إِلَى ٱلَّذِينَ﴾:

سُفولُ رُتْبةِ مَن يوالي اليهود

التَّعبيرُ بحرفِ الجرِّ ﴿إِلَى﴾ الدّالِّ على انتهاءِ الغايةِ المجازيَّةِ في قولِه تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم﴾ للتَّنبيهِ على سُفولِ رُتبةِ المَرْئيِّ المُشاهَدِ، وأنَّ المنافقينَ بعيدونَ غايةَ البُعدِ عن الخيرِ[2].

نكتةُ التَّعبيرِ بالموصولِ ﴿ٱلَّذِينَ﴾:

مَناطُ التَّعجيبِ تَوَلّي المَغضوبِ عليهم

جيءَ بالموصولِ في قولِه ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم﴾؛ للتَّنبيهِ بما في حيِّزِ الصِّلةِ على مَدارِ التَّعجيبِ، وهو تَوَلّيهم قومًا غضبَ اللّهُ عليهم، ولاستهجانِ التَّصريحِ بأسمائِهم، والمرادُ بهؤلاءِ المُتَوَلّينَ المنافقونَ.

نكتةُ صيغةِ الماضي في ﴿تَوَلَّوْاْ﴾:

مَنْ تَوَلَّى المَغضوبَ عليهم فهو خاسِر

عُبِّرَ بصيغةِ الماضي في قولِ الباري ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ قَوْمًا﴾؛ للإيماءِ إلى أنَّ تَوَلّيَهم للقومِ المغضوبِ عليهم أمرٌ قد تحقَّقَ ومضَى، بحيثُ لا يَسَعُهم إنكارُهُ، وفي ذلك تسجيلٌ عليهم، ومزيدُ تخسيرٍ لهم وتحسيرٍ.

بلاغةُ صيغةِ التَّفعُّلِ في ﴿تَوَلَّوْاْ﴾:

حِرْصُ المُنافقينَ على موالاةِ المَغضوبِ عليهم

الفعلُ (تَوَلّى) مصدرُهُ (التَّوَلّي)، وهو على وزنِ (التَّفَعُّل)، وكُسِرَتْ عينُهُ لخَتْمِه بالياء، وفيه معنى التَّكلُّف. وقد عُبِّرَ بصيغةِ التَّفَعُّلِ في قولِه تعالى شأنُهُ: ﴿تَوَلَّوْاْ قَوْمًا﴾؛ للدَّلالةِ على أنَّ المنافقينَ

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 8/ 221.
(2) البقاعي، نظم الدّرر: 19/ 385.

تَكَلَّفوا بغايةِ جهدِهم أنْ يجعلوا المغضوبَ عليهم أولياءَهم الَّذينَ يُنزِلونَ بهم أمورَهم[1]، ويُحِبّونَهم.

غرضُ تنكيرِ ﴿قَوْمًا﴾:

اليهودُ مَغضوبٌ عليهم

تنكيرُ ﴿قَوْمًا﴾ في قولِهِ جلَّ مِنْ قائلٍ: ﴿تَوَلَّوْاْ قَوْمًا﴾ للتَّحقيرِ، والمرادُ بهؤلاءِ القومِ اليهودُ[2]؛ فقد اشتُهِروا بأنَّهم قد غَضِبَ اللَّهُ تعالى عليهم، كما دلَّ على ذلكَ قولُهُ تعالى: ﴿مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ﴾ [المائدة: 60][3].

دلالةُ الماضي في ﴿غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم﴾:

قُبْحُ شأنِ مَنْ تولَّى أعداءَ الله

جيءَ بصيغةِ الماضي في قولِ الحقِّ جلَّ مِنْ قائلٍ: ﴿غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم﴾؛ للتَّنبيهِ على أنَّ غَضَبَ اللهِ تعالى على اليهودِ قد تحقَّقَ، وفي ذلكَ تقبيحٌ لشأنِ مَنْ يَتَولّاهم مِنَ المنافقينَ، وتنبيهٌ على سفاهةِ رأيِهم؛ لأنَّ مَنْ تولَّى مغضوبًا عليهِ مِنْ قِبَلِ اللهِ استوجَبَ غَضَبَ اللهِ، وكفى بذلكَ هَوانًا وحَزَنًا وحِرمانًا.

سرُّ إيثارِ اسمِ الجلالةِ:

غَضَبُ العظيمِ عظيم

أوثَرَ اسمُ الجلالةِ على غيرِهِ مِنَ الأسماءِ الحُسنى في قولِهِ ﷻ: ﴿غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم﴾؛ لدلالتِهِ على المَلِكِ الأعلى الَّذي لا نِدَّ لهُ[4]، وفي ذلكَ تهويلٌ للغضبِ الَّذي وقَعَ على اليهودِ.

معنى (على) في ﴿عَلَيْهِم﴾:

غَضَبُ اللهِ مُحيطٌ باليهود

(على) في قولِ الحقِّ جلَّ شأنُهُ: ﴿غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم﴾ للتَّعديةِ، وما فيها مِنْ معنى الاستعلاءِ يُفيدُ أنَّ غَضَبَ اللهِ تعالى كأنَّهُ قد استعلَى عليهم استعلاءً، وغَشيَهم مِنْ جميعِ الجوانبِ،

(1) البقاعي، نظم الدّرر: 19/ 385.
(2) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 17/ 304.
(3) الزّمخشري، الكشاف: 4/ 495، والفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 29/ 497، وابن عاشور، التّحرير والتنوير: 28/ 47.
(4) البقاعي، نظم الدّرر: 19/ 385 - 386.

وفي ذلكَ مزيدُ تنفيرٍ مِنْ موالاتِهم؛ إذ العاقلُ لا يَرضَى بموالاةِ مَنْ هذا شأنُهُ.

علَّةُ فَصْلِ ﴿مَّا هُم مِّنكُمْ﴾:

المُنافِقونَ ليسوا مِـنَ المؤمنينِ الخُلَّصِ ولا مِنَ الكافرينَ الخُلَّص

يجوزُ في جملةِ ﴿مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ﴾ ثلاثةُ أوجهٍ: أحدُها: أنَّها مُستأنَفةٌ لا محلَّ لها مِنَ الإعرابِ، أخبرَ تعالى عنهم بأنَّهم ليسوا مِنَ المؤمنينَ الخُلَّصِ ولا مِنَ الكافرينَ الخُلَّصِ؛ لأنَّهم مُنافقونَ مُذَبْذَبونَ بينَ ذلكَ، فالضَّميرُ في ﴿مَّا هُم﴾ عائدٌ على ﴿ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟﴾، وهم المنافقونَ. والضَّميرُ في ﴿مِنْهُمْ﴾ عائدٌ على اليهودِ؛ أي: الكافرينَ الخُلَّصِ.

والثّاني: أنَّها حالٌ مِنْ فاعلِ ﴿تَوَلَّوْا۟﴾، والمعنى كما سبقَ.

والثّالثُ: أنَّها صفةٌ ثانيةٌ لـ﴿قَوْمًا﴾، فعلى هذا يكونُ الضَّميرُ في ﴿مَّا هُم﴾ عائدًا على ﴿قَوْمًا﴾، وهم اليهودُ، والضَّميرُ في ﴿مِنْهُمْ﴾ عائدٌ على ﴿ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟﴾، وهم المنافقون؛ يعني: اليهودُ ليسوا منكم - أيُّها المؤمنونَ - ولا مِنَ المنافقينَ، ومع ذلكَ تَوَلّاهم المنافقونَ، إلّا أنَّ فيهِ تنافُرَ الضَّمائرِ؛ فإنَّ الضَّميرِ في ﴿وَيَحْلِفُونَ﴾ عائدٌ على ﴿ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟﴾[1]. وهذهِ الاحتمالاتُ الثَّلاثةُ مِنْ مَظانِّ الفصلِ.

بلاغةُ الكلامِ الموَجَّهِ في ﴿مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ﴾:

غـزارةُ المَعاني بتَعَدُّدِ احتمالاتِ مَرجِعِ الضَّمائِر

تقدَّمَ أنَّ ضميرَ ﴿مَّا هُم﴾ يَحتَمِلُ أنْ يعودَ على ﴿ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟﴾، وهم المنافقونَ، والمعنى: ما هم بمُسلمينَ ولا يهود. ويجوزُ أنْ يعودَ الضَّميرُ على ﴿قَوْمًا﴾؛ أي: قومًا ليسوا مسلمينَ ولا مُنافقينَ، بل هم يهود. وكذلكَ ضميرُ ﴿وَلَا مِنْهُمْ﴾ يَحتَمِلُ الأمرينِ على التَّعاكُسِ، وكِلا الاحتِمالَينِ واقعٌ ومرادٌ على طريقةِ الكلامِ الموَجَّهِ؛ تكثيرًا للمعاني مع الإيجازِ، فيُفيدُ التَّعجيبَ مِنْ حالِ المنافقينَ أنْ يتولَّوا قومًا أجانبَ

(1) أبو حيان، البحر المحيط: 10/ 129، والسّمين الحلبي، الدّر المصون: 10/ 273.

عنهم على قومٍ هم أيضًا أجانبُ عنهم، على أنَّهم إنْ كانَ يُفرِّقُ بينَهم وبينَ المسلمينَ اختلافُ الدّينِ فإنَّ الَّذي يُفرِّقُ بينَهم وبينَ اليهودِ اختلافُ الدّينِ واختلافُ النَّسَبِ؛ لأنَّ المنافقينَ مِنْ أهلِ يثربَ عربٌ. ويُفيدُ بالاحتمالِ الآخرِ الإخبارَ عن المنافقينَ بأنَّ إسلامَهم ليسَ صادقًا؛ أي: ما هم منكم أيُّها المسلمونَ، وهو المقصودُ. ويكونُ قولُهُ: ﴿وَلَا مِنْهُمْ﴾ على هذا الاحتمالِ احتراسًا وتَتْميمًا لحكايةِ حالِهم، وعلى هذا الاحتمالِ يكونُ ذمُّ المنافقينَ أشدَّ؛ لأنَّهُ يدلُّ على حَماقتِهم؛ إذ جَعَلوا لهم أولياءَ ليسوا على دينِهم ولا هم مِن نَسَبِهم، فهم لا يوثَقُ بولايتِهم، وأضمَروا بُغْضَ المسلمينَ، فلم يُصادِفوا الدّينَ الحقَّ[1].

بلاغةُ التَّعبيرِ بالاسميَّةِ في ﴿مَّا هُم مِّنكُمْ﴾:

جيءَ بالجملةِ الاسميَّةِ في قولِهِ عزَّ شأنُهُ: ﴿مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ﴾؛ للدَّلالةِ على أنَّ انتفاءَ كونِ المنافقينَ مِنَ المؤمنينَ الخُلَّصِ والكافرينَ الخُلَّصِ أمرٌ ثابتٌ، إلّا إنْ أخلَصوا دينَهم للهِ.

مُغايَرةُ المُنافقينَ للمؤمنينَ والكافرينَ حقيقةٌ ثابتة

معنى (مِنْ) في ﴿مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ﴾:

(مِنْ) في قولِهِ تعالى في الموضعينِ: ﴿مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ﴾ للتَّبعيضِ؛ أي: ما هم بعضًا مِنكم ولا بعضًا مِنهم.

انتِفاءُ كَوْنِ المُنافقينَ بعضًا مِنَ المُؤمنينَ واليهود

دلالةُ (لا) في ﴿وَلَا مِنْهُمْ﴾:

(لا) في قولِهِ تعالى: ﴿مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ﴾ صِلَةٌ لتوكيدِ النَّفيِ المستفادِ مِنْ (ما)، وفي ذلكَ زيادةُ تنصيصٍ على تَذَبذُبِ المنافقينَ.

فَرْطُ تَذَبذُبِ المُنافقين

نكتةُ عطفِ ﴿وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ﴾:

قولُهُ تعالى: ﴿وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ﴾ عطفٌ على ﴿تَوَلَّوْاْ﴾، داخلٌ في حُكمِ التَّعجيبِ[2]، فكلٌّ مِنْ موالاتِهم لليهودِ وحَلِفِهم على الكذبِ مِمّا يَحُثُّ على التَّعجُّبِ مِنْ شأنِهم.

المُنافقونَ جامِعونَ بينَ موالاةِ اليهودِ والحَلِفِ على الكذب

(1) ابن عاشور، التّحرير والتنوير: 28/ 48.

(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 8/ 221، والشوكاني، فتح القدير: 5/ 229.

بلاغةُ التَّعبيرِ بالمضارعِ (يَحْلِفونَ):

صيغةُ المضارعِ في قولِهِ جلَّ ذكرُهُ: ﴿وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ﴾ للدَّلالةِ على تكرُّرِ الحَلِفِ وتجدُّدِهِ بحسبِ تكرُّرِ ما يَقتَضيهِ[1]، وفي ذلكَ تنبيهٌ على أنَّهم قد استَسهَلوا الكذبَ الموثَّقَ بالأيْمانِ[2]. وفي صيغةِ المضارعِ أيضًا استِحضارٌ لحالِهِمُ العجيبةِ حين حَلِفِهم على الكذبِ للتَّنصُّلِ ممّا فَعَلوه[3].

استِسهالُ المُنافقينَ للكَذِبِ أمرٌ عجيب

دلالةُ ﴿عَلَى﴾ في ﴿عَلَى ٱلْكَذِبِ﴾:

دلَّ التَّعبيرُ بحرفِ الاستعلاءِ في قولِهِ جلَّ شأنُهُ: ﴿وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ﴾ على أنَّ التَّقديرَ: ويَحلِفونَ مُجْترِئينَ على الكذبِ في دعوى الإسلامِ وغيرِ ذلكَ ممّا يَقَعونَ فيهِ مِنْ عَظائِمِ الآثامِ[4]، فيكونُ في الكلامِ تضمينٌ.

اجتِراءُ المُنافقينَ على الكَذِبِ

نكتةُ تعريفِ ﴿ٱلْكَذِبِ﴾:

تعريفُ ﴿ٱلْكَذِبِ﴾ في قولِهِ تعالى: ﴿وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ﴾ للعهدِ، والمرادُ منهُ: إمّا ادِّعاءُ أنَّهم مسلمونَ، وإمّا أنَّهم كانوا يَشتُمونَ اللّهَ ورسولَهُ، ويَكيدونَ للمسلمينَ، فإذا قيلَ لهم: إنَّكم فعلتُم ذلكَ خافوا على أنفُسِهم مِنَ القتلِ، فيَحلِفونَ إنّا ما قلنا ذلكَ وما فعلناهُ[5].

كَذِبُ المُنافقينَ في ادِّعاءِ الإيمانِ وإظهارِ النُّصْحِ لأهلِه

دلالةُ الواوِ في ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾:

الواوُ في قولِهِ تعالى: ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ حاليَّةٌ، والجملةُ حالٌ مِنْ فاعلِ (يَحلِفون)، وفي هذهِ الحالِ تشنيعٌ عليهم وتقبيحٌ لكذبِهم؛ إذ حَلَفوا على الكذبِ وهم عالِمونَ مُتعمِّدونَ لهُ، فلا عُذرَ لهم[6]، وذلكَ أدخَلُ في التَّعجيبِ؛ لأنَّهُ أشنَعُ مِنَ الحَلِفِ على الكذبِ؛ لعدمِ التَّثبُّتِ في المحلوفِ عليهِ[7].

تَعَمُّدُ الكَذِبِ قَبيحٌ شَنيع

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 8/ 221، والآلوسي، روح المعاني: 14/ 226.
(2) ابن عطية، المحرر الوجيز: 5/ 280.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتنوير: 28/ 48.
(4) البقاعي، نظم الدّرر: 19/ 386.
(5) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 29/ 497، والنيسابوري، غرائب القرآن ورغائب الفرقان: 6/ 276.
(6) أبو حيان، البحر المحيط: 10/ 129، والسّمين الحلبي، الدّر المصون: 10/ 273.
(7) ابن عاشور، التّحرير والتنوير: 28/ 49.

نكتةُ التَّعبيرِ بالاسميَّةِ في ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾:

دَوامُ عِلْمِ المُنافقينَ بكَذِبِهم

اختيرَتِ الجملةُ الاسميَّةُ في قولِهِ تعالى: ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾؛ لإفادةِ دوامِ عِلْمِ المُنافقينَ بأنَّهم كاذبونَ فيما يَحلِفونَ عليهِ[1].

غرضُ تقديمِ المُسنَدِ إليهِ على المُسنَدِ الفِعْليّ:

عِلْمُ المُنافِقينَ بكَذِبِهم مُؤَكَّدٌ

تقديمُ المسندِ إليهِ على الخبرِ الفِعْليِّ في قولِهِ تعالى: ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ لتقويةِ الحكمِ[2]، وذلكَ أنَّ الجملةَ تَشتَمِلُ على نِسْبةِ العلمِ إليهم، وفي ﴿يَعْلَمُونَ﴾ ضميرٌ راجعٌ إليهم، فيُفيدُ نِسْبةَ العلمِ إليهم مرَّةً أُخرى، كأنَّهُ قيلَ مرَّتين: يَعلَمونَ، يَعلَمونَ، ولا عجبَ في ذلكَ؛ فالمرءُ أدرى بأحوالِ نفسِهِ وخَفاياها ونَواياها.

نكتةُ الإيجازِ في ﴿يَعْلَمُونَ﴾:

الرِّضا بالمَعصيةِ قَبيح

في قولِهِ تعالى: ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ إيجازٌ بحذفِ المفعولِ؛ لظهورِهِ مِنَ السِّياقِ، والتَّقديرُ: وهم يَعلَمونَ بأنَّهم كاذبونَ فيما حَلَفوا عليهِ[3]. وفي هذا الحذفِ أيضًا رعايةٌ للفَواصِلِ.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الغَضَبُ والسُّخْطُ والغَيْظ:

إلحاقُ الضَّررِ بالـيـهـودِ مِن إرادةِ اللهِ تعالى

الغَضَبُ: ثَوَرانُ دمِ القلبِ إرادةَ الانتقامِ[4]. والغَيْظُ: أشدُّ الغضبِ، وهو الحرارةُ الَّتي يَجِدُها الإنسانُ مِنْ ثَوَرانِ دمِ قلبِهِ، فهو أخصُّ مِنَ الغضبِ؛ فكلُّ غيظٍ غضبٌ، وليسَ كلُّ غضبٍ غيظًا[5]. والسُّخْطُ: الغضبُ الشَّديدُ المُقتضي للعقوبةِ[6].

والإنسانُ يجوزُ أنْ يَغتاظَ مِنْ نفسِهِ، ولا يجوزُ أنْ يَغضَبَ عليها؛

(1) القونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 18/ 513.
(2) القونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 18/ 513.
(3) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 8/ 52، والقاسمي، محاسن التّأويل: 9/ 177.
(4) الرّاغب، المفردات: (غضب).
(5) السّمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (غيظ).
(6) الرّاغب، المفردات، والسّمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (سخط).

لأنَّ الغضبَ إرادةُ الضَّررِ للمغضوبِ عليهِ، ولا يجوزُ أنْ يُريدَ الإنسانُ الضَّرر لنفسِهِ. والغضبُ يكونُ مِنَ الصَّغيرِ على الكبيرِ، ومِنَ الكبيرِ على الصَّغيرِ، والسُّخْطُ لا يكونُ إلّا مِنَ الكبيرِ على الصَّغيرِ، يقالُ: سَخِطَ الأميرُ على الحاجبِ، ولا يقالُ: سَخِطَ الحاجبُ على الأميرِ[1].

وقد عُبِّرَ بالغضبِ هنا؛ لدلالتِهِ على أنَّ اللّهَ تعالى يُريدُ إلحاقَ الضَّررِ باليهودِ.

(1) العسكري، الفروق، ص: 130.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الستون،
سورة الحدِيد من الآية 14 إلى سورة الحَشر الآية 10
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الستون، سورة الحدِيد من الآية 14 إلى سورة الحَشر الآية 10
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 60 ، 802 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-643-66-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 60 : المجلد الستون، سورة الحدِيد من الآية 14 إلى سورة الحَشر الآية 10.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-643-66-1
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-5294607 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"